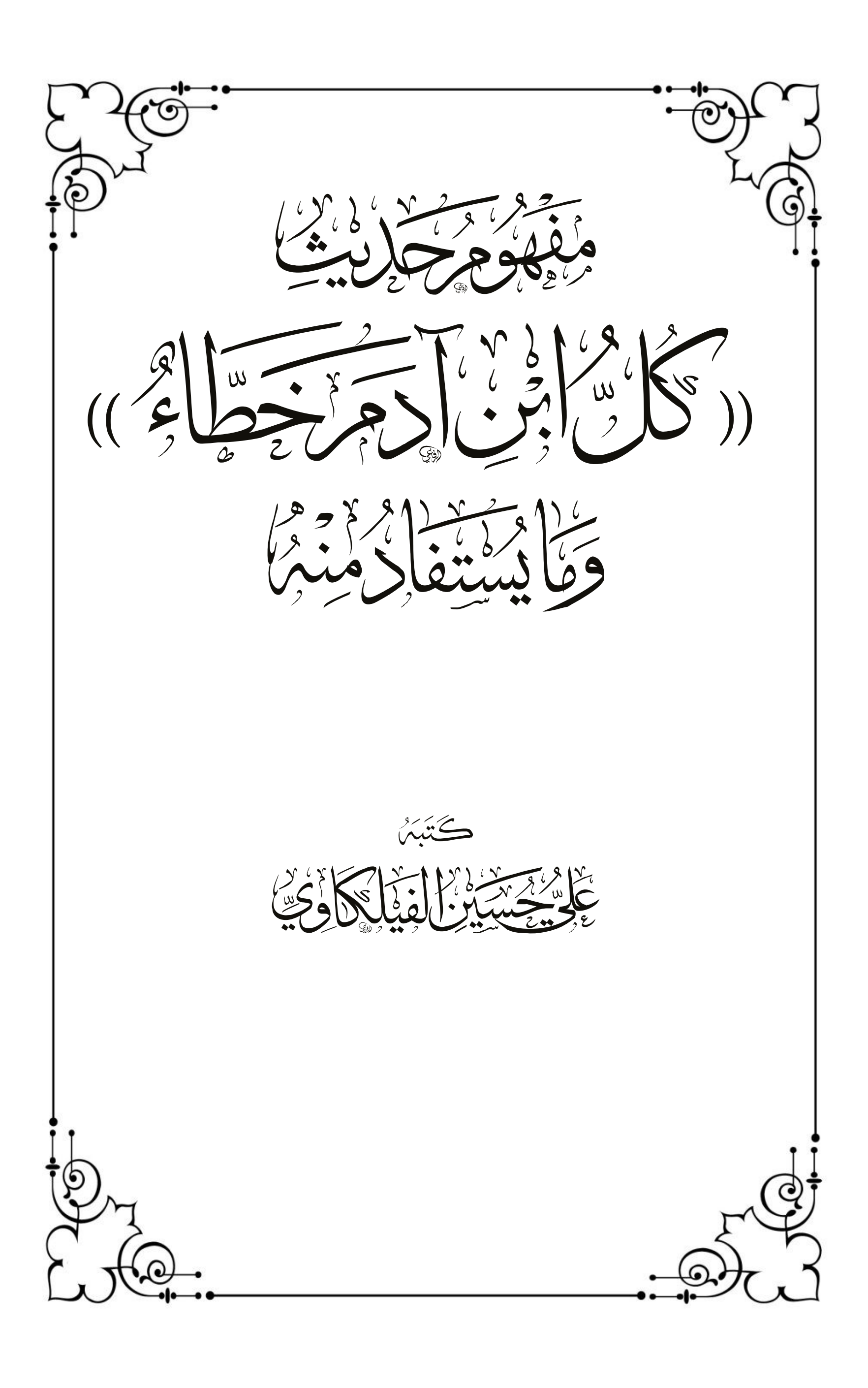
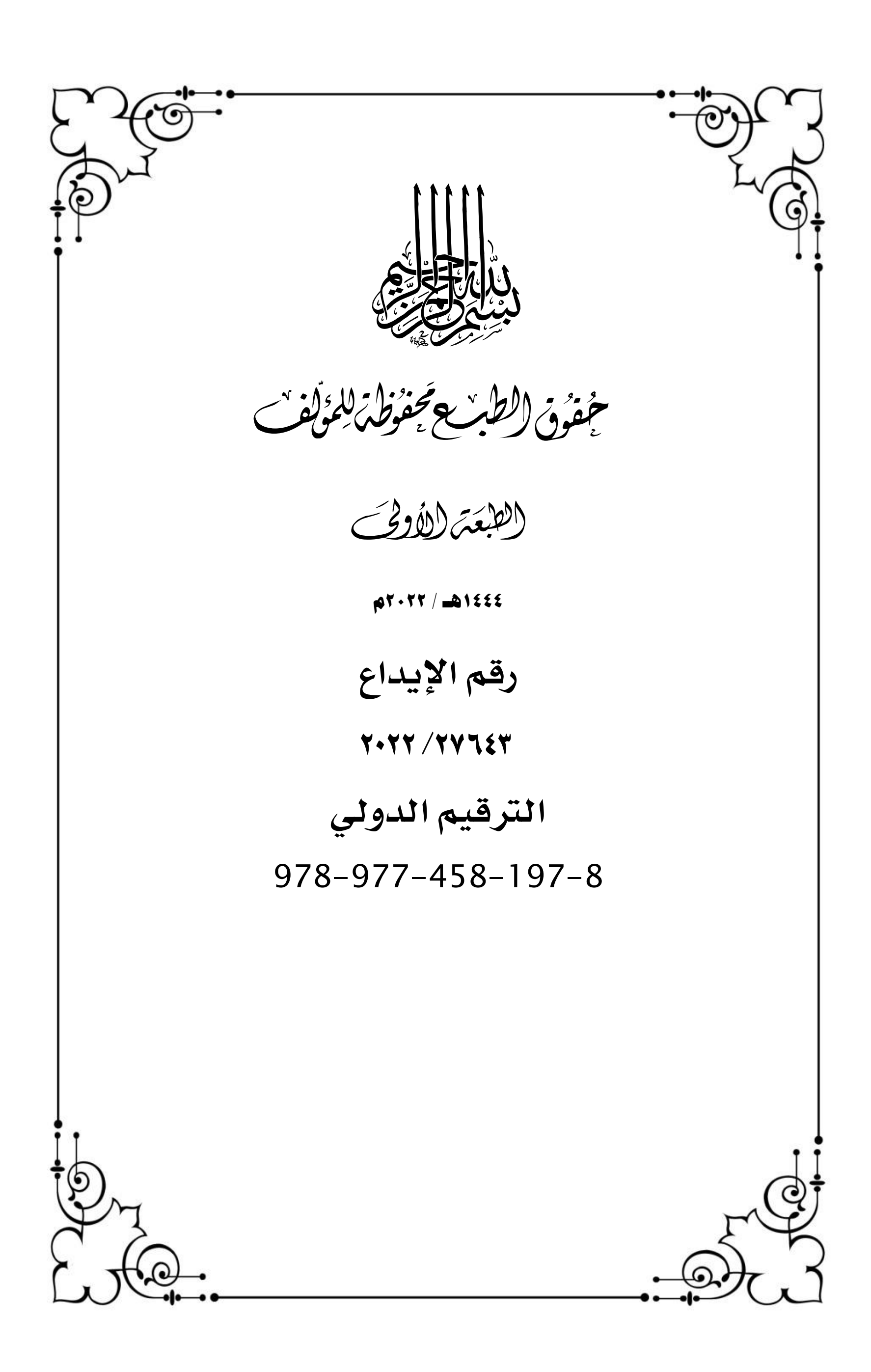


مفهوم حديث
((كل ابن آدم خطاء))
وما يستفاد منه

كتبه
علي حسين الفيلكاوي



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

رقم الإيداع

٢٧٦٤٣/ ٢٠٢٢

الترقيم الدولي

978-977-458-197-8

لا يُعطىٰ العالم حق النبي ﷺ في الطاعة المطلقة

لا وجه لوجوب طاعة العلماء «استفت قلبك وإن أفتاك المفتون»

لا يُعطىٰ العالم الحق في أخذ قوله بغير حجة

لا يُعطىٰ العالم الحق في ادِّعاء العصمة له

لا يُعطىٰ العالم حق الحاكم في الطاعة

العالم خطَّاء وليس بمعصوم

لا لتقديس العلماء

لا لتقليد العلماء

أيها المسلمون

الحذار الحذار من الاغترار بمثل هذه العبارات السامة؛

التي يُراد بها الحط مِن قدر علماء السنة، وصرف الناس عنهم

ومن أصحابها الذين ينطلقون – شاءوا أم أبوا – مِن منطلق

أعداء العلم الشرعي والعلماء مِن أصحاب مثل هذه المقولة

«يكرهون العلمانية لأنها تساوي بين رجل الدين والمواطن، فلا يعود لرجل الدين تلك السلطة والوجاهة التي يتميز بها عن باقي المواطنين.. هذا هو الأساس، أما المواطن البسيط فهو مسلوب الإرادة والعقل، فيسير وراءهم جاهلًا بهذا السبب الرئيس...»

وصدق الله القائل

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]

رضي الله عن أمير المؤمنين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب

وقد كشف باطلَ أقوامٍ وقال فيهم مقولته

«كلمة حق أُريد بها باطل»

مع استدلالهم عليه بآية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ

يثبتون بها قولهم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»، أخرجه الترمذي وغيره وحسنه الألباني.

لفظة (كل) من صيغ العموم، فتعم كل أحد.

ولفظة: «**كل**» من صيغ العموم، فتعم كل أحد، فلا أحد يسلم من الخطأ، وما من إنسان إلا وهو خطاء، وهذا أمرٌ مُسلَّمٌ به عند أهل السنة والجماعة.

ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) في توضيح هذا المعنى.

وفي توضيح هذا المعنىٰ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأعظم الناس درجة الأنبياء عليهم السلام، وقد أمرهم الله

بالتوبة والاستغفار، حتىٰ خاتم الرسل أمره الله في أواخر ما أنزل عليه من القرآن ما أمره به بقوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١-٣].

ولهذا كان الذي عليه سلف الأمة وأئمتها أن الأنبياء إنما هم معصومون من الإقرار علىٰ الذنوب، وأن الله يستدركهم بالتوبة التي يحبها الله - ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ - وإن كانت حسنات الأبرار سيئات المقربين، وأن ما صدر منهم من ذلك إنما كان لكمال النهاية بالتوبة، لا لنقص البداية بالذنب.

وأما غيرهم فلا تجب له العصمة، وإنما يدَّعي العصمة المطلقة لغير الأنبياء: الجهال من الرافضة وغالية النساك، وهذا مبسوط في موضعه»[1].

وقال: «فإن كان المقصود أن يستعيذ الناس بربهم وملكهم وإلههم من شر ما يوسوس في صدورهم، فإنه هو الذي يُطلب منه الخير الذي ينفعهم، ويُطلب منه دفع الشر الذي يضرهم،

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٤١٤).

والوسواس أصل كل شر يضرهم؛ لأنه مبدأ للكفر والفسوق والعصيان، وعقوبات الرب إنما تكون على ذنوبهم، وإذا لم يكن لأحدهم ذنب فكل ما يصيبه نعمة في حقه، وإذا ابتلي بما يؤلمه فإن الله يرفع درجته ويأجره، إذا قدر عدم الذنوب مطلقًا؛ لكن هذا ليس بواقع منهم، فإن كل بني آدم خطاء، وخير الخاطئين التوابون، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

فغاية المؤمنين الأنبياء فمن دونهم هي التوبة. قال الله تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقال نوح: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، وقال إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقال موسىٰ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، ودعاء نبينا بمثل ذلك كثير

معروف»[1].

وقال: «والمقصود هنا أن هذا يكون للمؤمن في عموم المصائب، وما يكون بأفعال المؤمنين فله فيه كظم الغيظ والعفو عن الناس.

ويوسف الصِّدِّيق صلوات الله عليه كان له هذا، وأعلىٰ من ذلك الصبر عن الفاحشة مع قوة الداعي إليها، فهذا الصبر أعظم من ذلك الصبر، بل وأعظم من الصبر علىٰ الطاعة.

ولهذا قال سبحانه في وصف المتقين الذين أعد لهم الجنة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

فوصفهم بالكرم والحلم وبالإنفاق وكظم الغيظ والعفو عن الناس. ثم لما جاءت الشهوات المحرمات وصفهم بالتوبة منها،

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٧ / ٥١٤).

فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾، فوصفهم بالتوبة منها وترك الإصرار عليها، لا بترك ذلك بالكلية؛ فإن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح: «**كتب علىٰ ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة: فالعينان تزنيان وزناهما النظر، والأذن تزني وزناها السمع، واللسان يزني وزناه المنطق، واليد تزني وزناها البطش، والرجل تزني وزناها المشي، والقلب يتمنىٰ ويشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**».

وفي الحديث: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**».

فلابد للإنسان من مقدمات الكبيرة، وكثير منهم يقع في الكبيرة فيؤمر بالتوبة، ويؤمرون أنْ لا يُصروا علىٰ صغيرة، فإنه لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار»[1].

وقال: «فالسعيد يخاف في أعماله أنْ لا يكون صادقًا في إخلاصه الدينَ لله، أو أنْ لا تكون موافقةً لما أمر الله به علىٰ لسان رسوله.

ولهذا كان السلف يخافون النفاق علىٰ أنفسهم، فذكر البخاري

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٧ / ٢٩).

عن أبي العالية قال: «أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ، كلهم يخاف النفاق علىٰ نفسه».

ولهذا كانوا يستثنون فيقول أحدهم: أنا مؤمن إن شاء الله، ومثل هؤلاء يستغفرون الله مما علموه أو لم يعلموه من التقصير والتعدِّي، ويتوبون من ذلك.

وهذا مشروع للأنبياء والمؤمنين، كان النبي ﷺ يستغفر بعد الصلاة ثلاثًا، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]. قالوا: كانوا يُحيون الليل صلاةً، ثم يقعدون في السَّحر يستغفرون، فيختمون قيام الليل بالاستغفار.

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٩٨-١٩٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١-٣].

فإن قيل: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وفي المؤمنين من لا ذنب له، فيكون أمره بالتوبة أمرًا بالتوبة من الحسنات، وكذلك توبة الأنبياء وهم معصومون؟

قيل: هذا من أعظم الفرية، لم تأتِ الشريعة بالتوبة من الحسنات، وهي ما أمر به من طاعته وطاعة أنبيائه، وليس في المؤمنين إلا من له ذنبٌ مِن تَرْكِ مأمور أو فِعْلِ محظور، كما قال ﷺ: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»»[1].

وقال: «الصدِّيق رضي الله عنه بل والنبي ﷺ إنما كملت مرتبته وانتهت درجته وتم علو منزلته في نهايته لا في بدايته، وإنما نال ذلك بفعل ما أمر الله به من الأعمال الصالحة وأفضلها التوبة.

وما وجد قبل التوبة فإنه لم ينقص صاحبه، ولا يتصور أن بشرًا يستغني عن التوبة كما في الحديث: «**يا أيها الناس توبوا إلىٰ الله فإني أتوب إلىٰ الله في اليوم أكثر من سبعين مرة**»، «**وإنه ليغان علىٰ قلبي فأستغفر الله في اليوم مائة**»، وكذلك قوله: «**اللهم اغفر لي خطئي وجهلي وعمدي وكل ذلك عندي**» فيه من الاعتراف

(١) جامع الرسائل (١ / ٢٥٧).

أعظم ما في دعاء الصديق رضي الله عنه.

والصِّديقون رضي الله عنهم تجوز عليهم جميع الذنوب باتفاق الأئمة»[1].

ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) في توضيح هذا المعنى.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

«الإنسان لا يَعرَىٰ عن تقصيرٍ ولو كان صِدِّيقًا»[2].

ما ذكره العلامة أبو الحسن السندي (ت: ١١٣٨هـ) في توضيح هذا المعنى.

ذكر العلامة السندي رحمه الله - في حاشيته علىٰ سنن النسائي - قول الحافظ ابن حجر، ثم أتبعه بتعليقه، فقال:

«**قوله: «إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا»** في فتح الباري فيه أن الإنسان لا يَعرَىٰ عن تقصيرٍ ولو كان صِدِّيقًا».

ثم قال:

«**قلت:** بل فيه أن الإنسان كثير التقصير وإن كان صِدِّيقًا، لأن

---

(١) المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ (١ / ٢١٣).

(٢) فتح الباري (٢ / ٣٢٠).

النعم عليه غير متناهية، وقوته لا تطيق بأداء أقل قليل من شكرها، بل شكره من جملة النعم أيضًا، فيحتاج إلىٰ شكر هو أيضًا كذلك، فما بقي له إلا العجز والاعتراف بالتقصير الكثير، كيف وقد جاء في جملة أدعيته صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم: «**ظلمت نفسي**».

«**من عندك**» **أي**: من محض فضلك؛ من غير سابقة استحقاق مني، أو مغفرة لائقة بعظيم كرمك، وبهذا ظهر الفائدة لهذا الوصف، وإلا فطلب المغفرة يغني عن هذا الوصف ظاهرًا فليتأمل»[(١)].

ما ذكره العلامة الصنعاني (ت: ١١٨٢هـ) في توضيح هذا المعنى.

وقال العلامة الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**«كل بني آدم خطاؤون»**: أي: كثيرو الخطأ؛ إذ هو صيغة مبالغة «**وخير الخطائين التوابون**». أخرجه الترمذي وابن ماجه وسنده قوي.

والحديث دال علىٰ أنه لا يخلو من الخطيئة إنسان لما جبل عليه هذا النوع من الضعف وعدم الانقياد لمولاه في فعل ما إليه

(١) سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي (٣/ ٥٣).

دعاه، وترك ما عنه نهاه، ولكنه تعالىٰ بلطفه فتح باب التوبة لعباده، وأخبر أن خير الخطائين التوابون؛ المكثرون للتوبة علىٰ قدر كثرة الخطأ، وفي الأحاديث أدلة علىٰ أن العبد إذا عصىٰ الله وتاب، تاب الله عليه، ولا يزال كذلك، ولن يهلك علىٰ الله إلا هالك»[1].

❁ ما ذكره العلامة ابن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) في توضيح هذا المعنى.

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما من إنسان إلا ويُصاب بذنب، حتىٰ إن النبي ﷺ قال: «**لولا لم تُذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»، وقال النبي ﷺ: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**».

وقال النبي ﷺ عن نفسه: «اللهم اغفر لي ذنبي كُلَّه دِقَّه وجلَّه علانيته وسِرَّه وأوله وآخره»، وقال الله تعالىٰ يخاطب نبيه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١-٢]، فهل يُمكن أن يَجرؤَ أحدٌ فيقول: إن الرسول لم يُذنب والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا

(١) سبل السلام (٤ / ٥٢٣).

تَأَخَّرَ﴾ لا يمكن أن تقول: لا ذنب له حتىٰ يَمنَّ الله عليه بمغفرته له.

نعم الرسل معصومون من شيءٍ ليس لغيرهم، وهو الاستمرار في الذنب، هذا لا يمكن، لابد أن يعفو الله عنهم، إما باستغفارهم وتوبتهم إلىٰ الله، وإما بِمِنَّةِ الله عليهم. قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التحريم: ١-٢]، وقال الله له: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]، هذا هو النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول الله له: استعجلت فأذنت لهم، وهذه آيةٌ عظيمةٌ تُرتِّب سَيرَ الإنسان ألاَّ يتعجَّل في الأمور إذا كان الله عاتب نبيَّه؛ لأنه أذن لهم قبل أن يتبيَّن له الأمر، فما بالكم بغيره؟ وقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

نعم الرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون من كبائر الذنوب، معصومون من الشرك، معصومون من سفاسف الأخلاق، أما

المعاصي التي دون ذلك فإنهم غير معصومين منها، ولكنهم معصومون من الاستمرار فيها، وهذا شيءٌ ليس لغيرهم. نسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا وإياكم من أتباعه، إنه علىٰ كل شيء قدير»[1].

❁ العصمة والخيرية للأنبياء والرسل وخير الناس بعدهم العلماء.

ومن المعلوم والمتقرر عند أهل السنة والجماعة أن الأنبياء والرسل قد عصمهم الله عَزَّوَجَلَّ في تبليغ الدين، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وجعل طاعتهم من طاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وهذه الطاعة المطلقة لا تكون إلا لمعصوم من الخطأ في هذا الباب، وليس الأمر كذلك لمن هو دون الأنبياء والرسل، فأبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل ليس بمعصوم عن الخطأ، وكذلك من هم دونه من الصحابة والتابعين ومن الأئمة والعلماء، فمن باب أولىٰ ألا يكونوا معصومين.

---

(١) تفسير سورة الشورىٰ (ص: ٢٥٦).

ولكنهم مع القول بعدم عصمتهم من الخطأ، إلا أنهم خير الناس وأفضلهم بعد الأنبياء والرسل، كما دلَّت الأدلة على ذلك.

❁ مسالك الناس في فهم حديث: «كل ابن آدم خطَّاء» وتطبيقهم له.

وقد سلك الناس في فهمهم لحديث: «**كل ابن آدم خطاء**»، وتطبيقهم له مسلكين:

❁ المسلك الأول: مسلك أهل الباطل ومن ضل عن سواء السبيل وطريقة تعاملهم مع هذا الحديث.

إذ أخذوا مِن هذا الحديث حجةً ينطلقون بها لتقرير باطلهم، وإبطال أقوال مخالفيهم دون بينة ولا برهان بحجة أنهم خطاؤون.

فمن لم يُعجبهم قوله، أو لم يوافق قولُه أهواءَهم، قالوا: فلان خطَّاء!

فيُرد قول الصحابي لكونه خطَّاءً، ويُرد قول التابعي لكونه خطَّاءً، ويُرد قول العالم لكونه خطَّاءً، وهلم جرًّا.

وهذا المسلك هو في الحقيقة من أردء المسالك وأبطلها، وهو من أبطل الباطل، لمن تأمله، وذلك أن القول بأن كل ابن

آدم خطَّاء يستلزم رد الخطأ علىٰ قائله، وعدم قبوله منه، لا شك في ذلك ولا ريب، ولكن الخطأ يُرد لا لكون الصحابي خطَّاءً، ولا لكون التابعي خطَّاءً، ولا لكون العالم خطَّاءً، وإنما لكون الواحد منهم قد أخطأ فيه ولم يُوفَّق للصواب.

فيُرد خطأ المخطئ ويُذكر الدليل علىٰ خطأه، فيقال: أخطأ فلان والدليل علىٰ خطأه كذا وكذا، لا أن يُرد الحق بحجة أن قائله خطاء!

ما ذكره الشيخ ربيع المدخلي في نقض هذا المسلك الرديء.

ومما يدل علىٰ أن هذا المسلك الرديء هو مسلك أهل البدع والضلال ما ذكره شيخنا العلامة ربيع المدخلي حفظه الله عن حسن المالكي، فقد ذكر عنه ما فيه دلالة ظاهرة علىٰ سلوك أهل الباطل لمثل هذا المسلك الرديء، وذلك حين ذكر ما قام به حسن المالكي تقريرًا لباطله، ودفعًا لما جاء به شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الحق، إذ حذَّر منه ومما أَلَّفه من رسائل ومؤلفات بحجة أنه بشرٌ يُخطئ ويُصيب، وأنه خطَّاء،

إلىٰ غير ذلك.

ذكر ذلك عنه ثم ردَّ عليه قوله الباطل.

قال: «قال المالكي (ص: ١): وكتاب التوحيد أو كتاب كشف الشبهات أو غيرهما من كتب الشيخ؛ إنما أَلَّفها بشرٌ يُخطئ ويُصيب، ولم يؤلِّفها ملكٌ ولا رسول، فلذلك من الطبيعي جدًّا أن يُخطئ، ولا مانع شرعًا ولا عقلاً من وقوع الأخطاء من الشيخ، سواء كانت كبيرةً أو صغيرةً، كثيرةً أو قليلةً، فقهيةً أو عقديةً «إيمانية»، فإذا جوَّزنا هذه المقدمة البسيطة سهل الحوار والنقاش.

أما إن لم نُجوِّز هذه المقدمة، فهذا من الغلو الذي لا يرتضيه الشيخ نفسه، ولا المخلصون من أهل العلم، بل لعل جل دعوة الشيخ ترتكز علىٰ نقض الغلو في الصالحين، وعلىٰ هذا فعدم الإقرار بالمقدمة السابقة يُعد انتكاسةً سلفيةً خطيرةً تذهب بجهود الشيخ أدراج الرياح بين محبيه وأتباعه قبل خصومه وأعدائه».

ذكر الشيخ ربيع هذا القول عنه، ثم علق عليه قائلاً:

«هذا القول معظمه حق أريد به الباطل، فالحق منه يُقبل من العلماء الصادقين المنصفين.

أما من الجَهلة الحاقدين؛ الذين تُكذب أعمالهم وتطبيقاتهم أقوالَهم فلا يُصدَّقون ولا كرامة، وأما الباطل فمردود، وهذا حال كتاباتك.

ومناقشاتك الباطلة الظالمة للإمام محمد تشهد عليك أقوىٰ شهادة أنك بهذه المقدمات والدعاوىٰ ما تريد بها إلا الظلم والباطل وهدم ما قام به هذا الإمام من الجهاد العظيم والتأليفات النافعة الموضحة لدين الله عَزَّوَجَلَّ عقيدةً وأحكامًا.

فلو كان عندك شيء من النصح فاتجه به إلىٰ نقض كتب التشيع والرفض التي امتلأت بالكفر والكذب علىٰ الله ورسوله، وعلىٰ أصحاب رسوله، وعلىٰ علماء الإسلام، وامتلأت بالغلو الذي لا يوجد عند اليهود والنصارىٰ، هذا هو العمل الصحيح المطلوب، لا أن تذهب إلىٰ مصابيح مقتبسة من كتاب الله وسنة رسوله تُصحِّح للناس عقائدهم التي أفسدها دعاة الرفض والتصوف؛ تذهب إلىٰ هذه المصابيح لتطفئها؛ ليعود الناس إلىٰ الظلمات والجهل، فهذا من أشد وأقبح أنواع الإفساد في الأرض.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]،

فأنت بأعمالك هذه ساعٍ في الإفساد في الأرض بعد إصلاحها، فمن يصدقك في هذه الدعاوىٰ العريضة.

وهل رَفضُ السلفيين لظلمك وأباطيلك وأباطيل أسلافك وافتراءاتكم علىٰ الإمام محمد وكتبه وأتباعه يُعتبر انتكاسةً سلفية.

إن الانتكاسة كل الانتكاسة أن يقبلوا منكم هذا الظلم وهذه الافتراءات، نسأل الله أن يحفظهم وأن يثبتهم علىٰ الحق، فإنهم رغم أنوف الحاقدين أهل الحق والفرقة الناجية والطائفة المنصورة التي لا يضرها من خذلها ولا من خالفها من أمثال المالكي وأشياعه، لا يضرهم ذلك إلىٰ يوم القيامة.

والله نسأل أن يرد كيد أعدائهم في نحورهم ويعيدهم إلىٰ جحورهم».

ردَّ عليه قوله، ثم قال:

«ادَّعىٰ المالكي أنه درس خمس مجلدات من الدرر السنية وقدم ملحوظات علىٰ كشف الشبهات.

وادَّعىٰ أن نسخته السابقة عبارة عن مسودة لا تُعبر عن وجهة نظره، وهذا تهربٌ منه من عمله.

تحدث عن عمله الجديد ثم قال (ص: ٢):

«وعلىٰ هذا سيتضمن الكتاب عملين رئيسيين:

الأول: قراءة كشف الشبهات.

الثاني: الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتبه ورسائله الأخرىٰ وهي عبارة عن نماذج من أقواله وآرائه في التكفير تستدعي المراجعة من طلبة العلم، ولا يضير الشيخ إن أخطأ فكل بني آدم خطاء».

ذكر عن المالكي قوله هذا، ثم قال بعده:

«أقول إن هذا مشروع كبير دوافعه معروفة، ويحتاج هذا المشروع إلىٰ أن تُمد له يد العون من خصوم الدعوة السلفية ولن يعدم الأعوان من كل الاتجاهات.

وسيقف أنصار الحق لهذا الرجل وأعوانه وكل من وراءه ووراء غيره من أعداء الحق، سيقفون لهم بالمرصاد، وسيحبط الله مكايدهم وخططهم، ويهدم صروحهم بمعاول الحق، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]»[١].

(١) انظر: دحر افتراءات أهل الزيغ والارتياب عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب (ص: ٦٧ وما بعدها).

المسلك الثاني: مسلك أهل السنة والجماعة من الأئمة والعلماء وطريقة تعاملهم مع هذا الحديث.

إذ جمعوا بين هذا الحديث وبين غيره من النصوص كما هي عادتهم في تقرير المسائل، وفي وضع الأصول والقواعد.

جمعوا بينها فوجدوا أن هذا الحديث وما شابهه أصلٌ أصيلٌ وقاعدةٌ عامةٌ في إعذار الصحابي أو التابعي أو عالم السنة إن أخطأ الواحد منهم، وذلك لعلمهم وتيقنهم بأن أهل الحق لا يتكلمون إلا عن اجتهاد، وعن تحرٍّ للحق، ولكن طبيعتهم البشرية اقتضت منهم مثل هذه الزلات، ومثل هذه الأخطاء، إذ كل بني آدم خطاء.

هكذا استخدم أهل السنة والمنتسبون إلىٰ السنة هذا الحديث، وهذا ما تقتضيه النصوص، وهو ما تقتضيه أصول أهل السنة وقواعدهم أيضًا.

فأهل السنة، مع علمهم بأن كل ابن آدم خطاء، فهم يعلمون أيضًا علم اليقين بأن الله عَزَّوَجَلَّ قد رفع شأن هؤلاء الأئمة والعلماء، وأمر الناس بالرجوع إليهم، وبالأخذ عنهم؛ وإن كان

الحديث يشملهم، كما هو شاملٌ لغيرهم من البشر.

بل ويعلمون بأن الخطأ يتفاوت، وأن خطأ العالم المتكلم في الدين عن علم واجتهاد ليس كخطأ من دونه من البشر، وليس خطؤه كخطأ المتعالم، ولا كخطأ الجاهل المتصدر؛ المتشبع بما لم يُعطَ، الذي يظن نفسه علىٰ شيء، وليس هو علىٰ شيء، كلابس ثوبي الزور.

وبناء علىٰ ما سبق ولعلمهم بأن عالم السنة ليس هو من الذين يتعمدون مخالفة السنة، وأن الخطأ إن صدر منه فعن اجتهاد، ولعلمهم أيضًا بأن الصواب لا يخرج عن أهل السنة وعلماء السنة، بخلاف أهل البدع وعلماء البدعة، فإنهم يفرقون في تعاملهم بين صاحب السنة وبين المبتدع.

وهذا هو الحق والصواب، يُدرك ذلك كل من تتبع النصوص، وفهمها علىٰ وجهها الصحيح.

*** وقد تتبعها أئمة السنة فوجدوا:**

- أن الله عَزَّوَجَلَّ؛ هو الذي جعل كل ابن آدم خطاء، وهو الذي رفع شأن العلماء، وأمر الناس بالرجوع إليهم، وبالأخذ عنهم،

فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، مع علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأنهم ليسوا معصومين من الخطأ.

قال العلامة شمس الدين ابن الموصلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٧٤ هـ):** «فأمر من لم يعلم أن يسأل أهل الذكر؛ وهم أولو الكتاب والعلم، ولولا أن أخبارهم تفيد العلم لم يأمر بسؤال من لا يفيد خبره علمًا، وهو سبحانه لم يقل سلوا عدد التواتر، بل أمر بسؤال أهل الذكر مطلقًا، فلو كان واحد لكان سؤاله وجوابه كافيًا»[1].

وقال العلامة عبد الرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا ريب أن الرد إلىٰ الله ورسوله بعد وفاته، إنما يحصل بالرد إلىٰ الكتاب والسنة، وأن تحكيمه بعد وفاته، إنما هو بتحكيم الكتاب والسنة.

ولا ريب أن من الرد إلىٰ الكتاب سؤالَ العلماء، كما أن من الرد إلىٰ الرسول اعتبار أقوال خلفائه وورثته من أهل العلم، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وفي حديث أبي الدرداء مرفوعًا: «العلماء خلفاء الأنبياء» أخرجه البزار، ورجاله موثقون، كما في «مجمع الزوائد». وله في

---

(١) مختصر الصواعق (٤ / ١٥٣٨).

«السنن» حديث فيه: «**وإن العلماء ورثة الأنبياء...**» الحديث.

ولا ريب أن الأئمة المجتهدين مِنْ أَوْلىٰ مَن يدخل في ذلك»[1].

- وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي شهد لهؤلاء الأئمة والعلماء بالهدىٰ والبصيرة فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد أولو العلم بما أنزله علىٰ رسله ليس إلا، وليس المراد أولو العلم بالمنطق والفلسفة وفروعهما»[2].

وقال: «إن أصحاب القرآن والإيمان قد شهد الله لهم، وكفىٰ به شهيدًا بالعلم واليقين والهدىٰ، وأنهم علىٰ بصيرة وبينة من ربهم، وأنهم هم أولو العقل والألباب والبصائر، وأن لهم نورًا علىٰ نور، وأنهم المهتدون المفلحون»[3].

- وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي أخبر بأنهم أهل خشيته، وخصَّهم

(١) عمارة القبور في الإسلام (ص: ٣).

(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٨٧٦).

(٣) الصواعق المرسلة (٣/ ٨٥٠).

من بين الناس بذلك، فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنه سبحانه أخبر أنهم أهل خشيته، بل خصَّهم من بين الناس بذلك، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، وهذا حصرٌ لخشيته في أولي العلم.

وقال تعالىٰ: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨]، وقد أخبر أن أهل خشيته هم العلماء، فدل علىٰ أن هذا الجزاء المذكور للعلماء بمجموع النصَّين.

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كفىٰ بخشية الله علمًا، وكفىٰ بالاغترار بالله جهلاً»»[1].

- وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي فضَّل العلماء علىٰ غيرهم ممن هم دونهم، وممن لم يبلغوا مرتبتهم، ومكانتهم، فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١ / ١٣٧).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفضيل العلم وأهله:** «أنه سبحانه نفىٰ التسوية بين أهله وبين غيرهم، كما نفىٰ التسوية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠]، وهذا يدل علىٰ غاية فضلهم وشرفهم»(١).

*** ووجدوا أيضًا:**

- أن النبي ﷺ، الذي أخبر بأن كل ابن آدم خطاء، هو نفسه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي أخبر بفضل العلماء، وعلو مكانتهم ومنزلتهم، فقال:

«من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلىٰ الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتىٰ الحيتان في الماء، وفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا

---

(١) مفتاح دار السعادة (١ / ١٣٣).

دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

وقال: «فضل العالم علىٰ العابد كفضلي علىٰ أدناكم، إن الله عَزَّوَجَلَّ، وملائكته، وأهل السموات والأرض، حتىٰ النملة في جحرها، وحتىٰ الحوت؛ ليصلون علىٰ معلم الناس الخير».

وقال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتىٰ إذا لم يُبقِ عالمًا اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».

وقال: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتىٰ يأتي أمر الله وهم ظاهرون علىٰ الناس».

وحول ما تضمنته هذه الأحاديث من معانٍ:

قال الحافظ أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٦٥٦ هـ)**: «وهذا حديث عظيم يدل علىٰ أن طلب العلم أفضل الأعمال، وأنه لا يبلغ أحدٌ رتبة العلماء، وأن رتبتهم ثانيةً عن رتبة الأنبياء»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨ هـ)**:

«ولهذا كان معلم الخير يستغفر له كل شيء حتىٰ الحيتان في

(١) المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٦٨٥).

البحر، والله وملائكته يصلون علىٰ معلم الناس الخير، لما في ذلك من عموم النفع لكل شيء.

وعكسه كاتموا العلم، فإنهم يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، قال طائفة من السلف: «إذا كتم الناس العلم، فعمل بالمعاصي احتبس القطر، فتقول البهائم: اللهم عصاة بني آدم فإنا منعنا القطر بسبب ذنوبهم».

وإذا كان علم الإنسان بكونه عالمًا مرجعه إلىٰ وجوده ذلك، وإحساسه في نفسه بذلك - وهذا أمرٌ موجودٌ بالضرورة - لم يكن لهم أن يُخبروا عما في نفوس الناس: بأنه ليس بعلم بغير حجة، فإن عدم وجودهم من نفوسهم ذلك لا يقتضي أن الناس لم يجدوا ذلك، لاسيما إذا كان المخبرون يخبرون عن اليقين الذي في أنفسهم؛ عمن لا يشكون في علمه وصدقه ومعرفته بما يقول.

وهذا حال أئمة المسلمين وسلف الأمة، وحملة الحجة، فإنهم يخبرون بما عندهم من اليقين والطمأنينة والعلم الضروري»[١].

- وأنه هو نفسه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي فرَّق بين خطَّاء وخطَّاء،

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤ / ٤٢).

فذكر ما فيه دلالة ظاهرة علىٰ بطلان الاستدلال بحديث: «**كل ابن آدم خطاء**» علىٰ التزهيد في أهل الحق من أئمة السنة وعلماء السنة بحجة أن «الصحابي خطاء، أو التابعي خطاء، أو العالم خطاء»، فقال:

«إن لله تبارك وتعالىٰ ملائكةً سيارةً فُضُلاً يتتبَّعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذِكرٌ قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتىٰ يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا، وصعدوا إلىٰ السماء قال: فيسألهم الله عَزَّوَجَلَّ، وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك، ويكبرونك، ويهللونك، ويحمدونك، ويسألونك قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك قال: فيقول: قد غفرت لهم، فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال: فيقولون: رب فيهم فلانٌ عبدٌ خطَّاءٌ إنما مر فجلس معهم قال:

فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم».

فذكر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا العبد الخطَّاء، وكيف أن الله عَزَّوَجَلَّ قد غفر له بمجالسته لأولئكم القوم الذين لا يشقىٰ بهم جليسهم، مع أنهم داخلون في حديث: «**كل ابن آدم خطاء**».

فعلماء السنة نظروا في هذه النصوص الكثيرة – وغيرها كثير – التي تُبين هذه المعاني وتضبط هذه الأبواب، ثم انطلقوا في تقرير ما فهموه منها مِن إعذار عالم السنة إن أخطأ، إذ لا عصمة لأحد بعد النبي ﷺ.

ولم نجد في هؤلاء الأئمة من يستدل بهذا الحديث علىٰ ترك عالم السنة أو إسقاطه بسبب أخطائه، وإن كثرت، مادامت عن اجتهاد، وهذا أمرٌ لا يرتضيه أهل الباطل؛ إذ لا سبيل لهم لنشر باطلهم إلا بحمل حديث: «**كل ابن آدم خطَّاء**» علىٰ ما حملوه عليه من إسقاط العلماء، وإبطال أقوالهم.

❁ أقوال أئمة السنة موافقة للنصوص ولما أراده الشارع الحكيم منها.

ومن هنا جاءت أقوال أئمة السنة موافقة للنصوص ولما أراده

الشارع الحكيم منها، بخلاف أهل الباطل الذين حمَّلوها ما لا تحتمل.

فمما جاء عن أئمة السنة في هذا الباب ما يأتي:

ما جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨هـ).

فقد بيَّن أن من الأمور اللازمة للعبد أنه دائمًا يتقلب بين نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ يحتاج فيها إلىٰ شكر، وذنب منه يحتاج فيه إلىٰ الاستغفار، فقال:

«فالعبد دائمًا بين نعمة من الله يحتاج فيها إلىٰ شكر، وذنب منه يحتاج فيه إلىٰ الاستغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائمًا، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه، ولا يزال محتاجًا إلىٰ التوبة والاستغفار.

ولهذا كان سيد ولد آدم وإمام المتقين محمد ﷺ يستغفر في جميع الأحوال، وقال ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: «**أيها الناس توبوا إلىٰ ربكم فإني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»، وفي صحيح مسلم أنه قال: «**إنه ليغان علىٰ قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»، وقال

عبد الله بن عمر: «كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول: رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الغفور مائة مرة»...

إلىٰ أن قال:

ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والاستغفار، كما قال الله تعالىٰ: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ الآية [هود: ١-٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ [فصلت: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩].

ولهذا جاء في الحديث: «يقول الشيطان أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار» وقد قال يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وكان النبي ﷺ إذا ركب دابته يحمد الله ثم يُكبر ثلاثًا ويقول: «**لا إله إلا أنت سبحانك ظلمت نفسي فاغفر لي**»، وكفارة المجلس التي كان يختم بها المجلس: «**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن**

لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»»[1].

وقد سئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن معنىٰ قوله تعالىٰ:** ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ الآية [التوبة: ١١٧]، والتوبة إنما تكون عن شيء يصدر من العبد، والنبي ﷺ معصوم من الكبائر والصغائر.

فأجاب: «الحمد لله، الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الإقرار علىٰ الذنوب، كبارها وصغارها، وهم بما أخبر الله به عنهم من التوبة يرفع درجاتهم، ويعظم حسناتهم، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وليست التوبة نقصًا؛ بل هي من أفضل الكمالات، وهي واجبة علىٰ جميع الخلق كما قال تعالىٰ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣]، فغاية كل مؤمن هي التوبة، ثم التوبة تتنوع كما يقال: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

والله تعالىٰ قد أخبر عن عامة الأنبياء بالتوبة والاستغفار: عن

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠ / ٨٨).

آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وغيرهم.

ثم ساق الأدلة علىٰ ذلك، ثم قال:

فتوبة المؤمنين واستغفارهم هو من أعظم حسناتهم، وأكبر طاعاتهم، وأجل عباداتهم؛ التي ينالون بها أجل الثواب، ويندفع بها عنهم ما يدفعه من العقاب.

فإذا قال القائل: أي حاجة بالأنبياء إلىٰ العبادات والطاعات؟ كان جاهلاً؛ لأنهم إنما نالوا ما نالوه بعبادتهم وطاعتهم، فكيف يقال: إنهم لا يحتاجون إليها، فهي أفضل عبادتهم وطاعتهم.

وإذا قال القائل: فالتوبة لا تكون إلا عن ذنب، والاستغفار كذلك.

قيل له: الذنب الذي يضر صاحبه هو ما لم يحصل منه توبة، فأما ما حصل منه توبة فقد يكون صاحبه بعد التوبة أفضل منه قبل الخطيئة، كما قال بعض السلف: كان داود بعد التوبة أحسن منه حالاً قبل الخطيئة، ولو كانت التوبة من الكفر والكبائر؛ فإن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار هم خيار الخليقة بعد الأنبياء، وإنما صاروا كذلك بتوبتهم مما كانوا عليه من الكفر والذنوب، ولم يكن ما تقدم قبل التوبة نقصًا ولا عيبًا؛ بل لما تابوا

من ذلك وعملوا الصالحات كانوا أعظم إيمانًا، وأقوىٰ عبادة وطاعة ممن جاء بعدهم فلم يعرف الجاهلية كما عرفوها»[1].

وقال: «فأما العبد فكماله في حاجته إلىٰ ربه وعبوديته وفقره وفاقته، فكلما كانت عبوديته أكمل كان أفضل، وصدور ما يحوجه إلىٰ التوبة والاستغفار مما يزيده عبوديةً وفقرًا وتواضعًا.

ومن المعلوم أن ذنوبهم ليست كذنوب غيرهم، بل كما يقال: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، لكن كلٌّ يخاطب علىٰ قدر مرتبته، وقد قال ﷺ: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**».

وما ذكره من عدم الوثوق والتنفير قد يحصل مع الإصرار والإكثار ونحو ذلك.

وأما اللمم الذي يقترن به التوبة والاستغفار، أو ما يقع بنوع من التأويل، وما كان قبل النبوة فإنه مما يعظم به الإنسان عند أولي الأبصار.

وهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قد عُلم تعظيم رعيته له وطاعتهم، مع كونه دائمًا كان يعترف بما يرجع عنه من خطأ، وكان إذا اعترف

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٥ / ٥١).

بذلك وعاد إلىٰ الصواب زاد في أعينهم، وازدادوا له محبةً وتعظيمًا.

ومن أعظم ما نقمه الخوارج علىٰ عليٍّ أنه لم يتب من تحكيم الحكمين، وهم وإن كانوا جهالاً في ذلك، فهو يدل علىٰ أن التوبة لم تكن تُنفِّرهم، وإنما نفَّرهم الإصرار علىٰ ما ظنوه هم ذنبًا.

والخوارج من أشد الناس تعظيمًا للذنوب ونفورًا عن أهلها، حتىٰ إنهم يكفرون بالذنب ولا يحتملون لمقدمهم ذنبًا، ومع هذا فكل مقدم لهم تاب عظموه وأطاعوه، ومن لم يتب عادوه فيما يظنونه ذنبًا وإن لم يكن ذنبًا.

فعلم أن التوبة والاستغفار لا توجب تنفيرًا ولا تزيل وثوقًا، بخلاف دعوىٰ البراءة مما يُتاب منه ويستغفر، ودعوىٰ السلامة مما يُحوِج الرجوع إلىٰ الله واللجأ إليه، فإنه هو الذي يُنفِّر القلوب ويزيل الثقة. فإن هذا لم يُعلم أنه صدر إلا عن كذاب، أو جاهل، وأما الأول فإنه يصدر عن الصادقين العالمين.

ومما يُبين ذلك أنه لم يُعلم أحدٌ طعن في نبوة أحدٍ من الأنبياء ولا قدح في الثقة به بما دلت عليه النصوص التي تيب منها، ولا احتاج المسلمون إلىٰ تأويل النصوص بما هو من جنس التحريف

لها، كما يفعله من يفعل ذلك. والتوراة فيها قطعة من هذا، وما أعلم أن بني إسرائيل قدحوا في نبي من الأنبياء بتوبته في أمر من الأمور، وإنما كانوا يقدحون فيهم بالافتراء عليهم كما كانوا يؤذون موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإلا فموسىٰ قد قتل القبطي قبل النبوة، وتاب من سؤال الرؤية وغير ذلك بعد النبوة، وما أعلم أحدًا من بني إسرائيل قدح فيه بمثل هذا...»[1].

ما جاء عن العلامة ابن باز رحمه الله (ت: ١٤٢٠هـ).

فقد بيَّن أن من صفات الداعي إلىٰ الله تحرِّي الأسلوب الحسن، وتحرِّي الرفق والحذر من التعرض لأعراض العلماء وثلب العلماء، والتنفير منهم، فقال:

«الداعي يتحرىٰ الأسلوب الحسن، يتحرىٰ الرفق ويحذر التعرض لأعراض العلماء وثلب العلماء، والتنفير منهم؛ لأن هذا يُفرق ولا يجمع، يُسبب الشحناء، فالواجب علىٰ الداعي إلىٰ الله، أن يُرغِّب الناس في العلم، في حضور دعوة علماء السنة، ويدعوهم

(١) منهاج السنة (٢ / ٤٠٧).

إلىٰ القبول منهم، ويحذر التنفير من أهل العلم المعروفين بالعقيدة الصحيحة، والدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وكل واحد له أخطاء، ما أحد يسلم، قال النبي ﷺ: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»، وهكذا قول العلماء، قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما منا إلا راد ومردود عليه، إلا صاحب هذا القبر، يعني الرسول ﷺ.

فكل عالم له أخطاء، فالواجب أن يُنبَّه علىٰ أخطائه بالأسلوب الحسن، ولكن ما يُنفر منه وهو من أهل السنة، بل يُوجه إلىٰ الخير، ويُعلم الخير، ويُنصح بالرفق في دعوته إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ويُنبه علىٰ خطئه، ويُدعىٰ الناس إلىٰ أن يطلبوا منه العلم، ويتفقهوا عليه مادام من أهل السنة والجماعة.

فالخطأ لا يوجب التنفير منه، ولكن يُنبه علىٰ الخطأ الذي وقع منه، فكل إنسان له أخطاء، ولكن الاعتبار بما غلب عليه، وبما عرف عنه من العقيدة الطيبة، فالواجب علىٰ الدعاة إلىٰ الله أن يتبصروا، وأن يرفقوا وأن لا يعجلوا من أمورهم، وأن يتحروا الحق، وأن يحذروا التنفير من أهل العلم، وأن يحذروا أسباب الشحناء والعداوة، بل عليهم أن يحرصوا علىٰ كل أسباب

الاجتماع بين أهل العلم وأهل السنة والجماعة في دعوتهم إلىٰ الله وترغيبهم للناس في الخير، حتىٰ يكثروا الدعاة إلىٰ الله وحتىٰ ينتشروا، وحتىٰ يرغب الناس في الدعوة والأخذ عنهم، فإذا سمعوا هذا يُنفر من هذا وهذا يُنفر من هذا ضاعت الدعوة، وساءت الظنون»[1].

وقال: «فالداعي إلىٰ الله والعالم الموجه إلىٰ الخير، إذا أخطأ له أجر الاجتهاد، وإذا أصاب له أجران، مادام علىٰ الطريقة السلفية، طريقة أهل السنة، مادام موحدًا قاصدًا للخير، فقد يغلط فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، المهم أن تكون أصوله مستقيمة، وأن يكون علىٰ الطريق السوي، علىٰ طريق سلف الأمة، تابعًا لأصحاب الرسول ﷺ، ولأئمة الإسلام، يُريد تفهيم الناس الخير، يُريد توجههم إلىٰ طاعة الله ورسوله، يُريد كفهم عن محارم الله، يُريد كفهم عن البدع التي انتشرت بين الناس، وليس بشرط أن يكون معصومًا، العصمة للرسل فيما يبلغون عن الله، لكن يجتهد ويحرص علىٰ طلب الحق بالأدلة

(١) مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة (٢٧ / ٢٠).

الشرعية، ومن صدق في ذلك وأخلص لله، وفقه الله وأعانه، فمن علم الله من قلبه الصدق والإخلاص، وأنه يريد الحق؛ فالله سبحانه يعينه ويسدده»[1].

وقال: «فبيَّن عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه أخشىٰ الناس ﷺ، وأنه أتقىٰ الناس لله، وأعلمهم بما يُتقىٰ - عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ - وهكذا الرسل قبله هم أعلم الناس بالله وأتقاهم لله، ثم يليهم العلماء علىٰ مراتبهم، ولكن لا يلزم من كمال خشية الله والخوف منه أن يكونوا معصومين من الخطأ، بل كل عالم قد يُخطئ، فمتىٰ بان له الحق رجع إليه، كما قال النبي ﷺ: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**».

فعلىٰ طالب العلم أن يتحرىٰ الحق بدليله ويجتهد في ذلك ويسأل ربه التوفيق والإعانة ويخلص النية، فإن أخطأ مع ذلك فله أجر واحد وإن أصاب فله أجران كما صحت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ.

فالخشية لله تقتضي الوقوف عند حدود الله والسير علىٰ منهج

(١) مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة (٢٧ / ٢٢).

رسول الله ﷺ، فإذا زاد علىٰ ذلك صار تنطعًا وغلوًّا لا يجوز، فالعالم هو الذي يقف عند حدود الله في الإباحة والمنع وفي العمل والترك، لكنه مع ذلك يكون شديد الحذر أن يقول علىٰ الله بغير علم أو يعمل بخلاف ما علم، فيشابه اليهود في ذلك، وقد ذكر الله سبحانه عن بعض أهل الكتاب العاملين الأتقياء خصالاً حميدةً تذكيرًا لنا بذلك، فقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ﴾ [يوسف: ١١١]، ففي التاريخ والقصص عبر كما قال عَزَّوَجَلَّ. وقال سبحانه: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءًۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝١١٣ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤]، وهذا نموذج من أعمالهم الطيبة، وهذه الصفات الحميدة ذكرها الله سبحانه عنهم؛ لنقتدي بهم فيها ولنسلك هذا المسلك ونتأسىٰ بأهل الخير وهكذا في آخر سورة آل عمران يقول جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ

ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، فهذه الخصال الحميدة التي أخذ بها خيار أهل الكتاب ومن هداهم الله من علمائهم، إيمان بالله، خشوع وخضوع لله وطاعة لله سبحانه، وذل بين يديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثم مع ذلك لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً، ولا يجحدون الحق ولا يكتمونه كما فعل علماؤهم الضالون، كتموا سيرة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكتموا كثيرًا من الحق من أجل حظهم العاجل وما أرادوا من متاع الدنيا.

أما أهل العلم والإيمان من الأولين والآخرين أهل الخوف من الله فإنهم ينطقون بالحق ويُصرحون به، ولا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً، بل إن من أعمالهم العظيمة بيان الحق والدلالة عليه والدعوة إليه، والتحذير من الباطل والترهيب منه، يرجون ثواب الله ويخشون عقابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»[1].

ما جاء عن العلامة الألباني رحمه الله (ت: ١٤٢٠هـ).

فقد بيَّن متىٰ يُلام المخطئ ومتىٰ يُعذر، فقال:

---

(١) مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة (٢٣ / ٢٧٧).

«إذا كنا متذكرين جميعًا أن كل بني آدم خطاء، وأن خير الخطائين التوابون، وأن العصمة ليست لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ، فلا غرابة في أن يُخطئ من كان إمامًا في دعوة الحق، فإذا أخطأ في مسألة أو أخرىٰ، في مسألتين أو ثلاث أو أكثر، فذلك لا يُخرجه عن دعوة الحق إذا تبناها.

فالحافظ ابن حجر كالإمام النووي وغيره ممن أخطؤوا في بعض المسائل العقدية، كما يقولون اليوم، فذلك لا يُخرجهم عن كونهم من أهل السنة والجماعة؛ لأن العبرة بما يغلب علىٰ الإنسان من فكرٍ صحيح أو عملٍ صالح.

متىٰ يكون المسلم صالحًا؟ هل يشترط في أن يكون صالحًا: ألا يقع منه أي ذنب أو معصية؟

الجواب: لا، بل من طبيعة الإنسان أن يقع منه الذنب والمعصية مرارًا وتكرارًا، فمتىٰ يكون العبد صالحًا؟

إذا غلب خَيرُه شَرَّه، وصَلاحُه علىٰ ضَلالِه، وهكذا، كذلك تمامًا يُقال في المسائل العلمية، سواء كانت هذه المسائل العلمية مسائل عقدية أو فقهية.

فإذا كان هذا العالم يغلب عليه العلم الصحيح، فهو الناجي، أما أن له زلة أو زلات في الفقه أو في العقيدة؛ فهذا لا يُخرجه عنْ ما غلب عليه من العقيدة الصحيحة.

فابن حجر مع ما ذكرتَ مما له من تلك الزلات، فلا يعني ذلك أنه لا ينبغي أن نستفيد من كتابه، وألا نترحم عليه، وألا نحشره في زمرة علماء المسلمين المتمسكين بالكتاب والسنة.

كل إنسان يُخطئ، ولا مجال للبراءة من الخطأ؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ حينما خلق ملائكةً وخلق بشرًا فقد قدَّر علىٰ هؤلاء البشر أن يُخطئوا رغم أنوفهم، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حديثان مهمان جدًّا، ولكن حذاري أن يُفهم فهمًا خاطئًا:

الحديث الأول: قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**كتب علىٰ ابن آدم حظه من الزنا فهو مدركه لا محالة، فالعين تزني وزناها النظر، والأذن تزني وزناها السمع، واليد تزني وزناها البطش، والرجل تزني وزناها المشي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه**».

الشاهد من هذا الحديث: «**فهو مدركه لا محالة**»، أي: لا يمكن أن يتخلص، لماذا؟ لأنه إنسان ليس مَلَكـًا.

الحديث الآخر وهو الأهم، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقومٍ يُذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»، لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقومٍ يحلون محلكم ويُذنبون بخلافكم، فهل أنتم لا تذنبون؟ فهذا قضاء الله، قدره، لابد لجنس البشر من أن يقع في الخطأ الذي لا يُحبه الله، لكن هذا الخطأ قد يكون من الصغائر؛ من اللمم، وقد يكون من الكبائر، فسواء كان هذا أو هذا، هذا أمر لابد منه، ولكن هل معنىٰ الحديث: «**لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقومٍ يُذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»، هل معنىٰ الحديث ومغزىٰ الحديث: الحض علىٰ الذنوب وارتكاب المعاصي؟

الجواب: لا، المقصود من الحديث تمامًا عاقبته، يُذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم، ومعنىٰ هذا حينئذ: يا معشر البشر.. كما قال تعالىٰ في الحديث القدسي: «**كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم..**» إلىٰ آخر الحديث.

الشاهد: أن حديث: «**لو لم تذنبوا**»، الهدف منه: أيها البشر مادام أنكم فُطرتم علىٰ المعصية؛ فلا تتكلوا عليها، وإنما أتبعوها

بالمغفرة، بالاستغفار؛ حتىٰ تعقبها المغفرة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

إذا كان إذًا هذه طبيعة البشر أن يُخطئوا في مخالفة النص قَصدًا وهي الذنوب، وأن يخطئوا في مخالفة النص لا قَصدًا وإنما لسوء فهم، فلا مؤاخذة في ذلك، المؤاخذة متىٰ تكون؟ إذا أقيمت الحجة علىٰ إنسان، سواء كانت الحجة في مسألة عقدية فكرية أو كانت الحجة في مسألة فقهية، ثم عاند وأصر علىٰ خطئه، فهنا تكون المؤاخذة، والعكس لا، أي: إذا إنسان وقع في خطأ عقدي، لكنه هو كان حريصًا علىٰ معرفة الصواب في تلك العقيدة، لكنه لم يوفق إلىٰ ذلك، ولو أقيمت الحجة عليه لرجع إلىٰ الصواب، فلا مؤاخذة عليه»اهـ[1].

ما جاء عن العلامة ابن عثيمين رحمه الله (ت: ١٤٢١هـ).

فقد بيَّن ما في هذا الحديث من معانٍ، وأنه ما من إنسان إلا ويُخطئ، وأنه من اللازم علىٰ الإنسان أن يأخذ بالحق ويدع

(١) بتصرف يسير من سلسلة جامع تراث الألباني في العقيدة (٢ / ١٥٥).

الباطل، وأنه إذا رأىٰ من شخصٍ خطأً وهو يعلم حسن نيته؛ فإن الواجب عليه الاعتذار عنه، لا التشنيع به، وأن التشنيع بأهل الحق من خصال المنافقين، وأن المنافقين هم الذين إذا أمسكوا علىٰ أهل الإيمان خطأً واحدًا بَنَوا منه أخطاءً كثيرة، وشنَّعوا عليه، وأشاعوا الفاحشة فيه، فقال:

«إذًا مغفرة الذنوب المتقدمة والمتأخرة ثابتة بالقرآن والسنة، وهذا من خصائص الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لا أحد من الناس يُغفر له ما تقدم وما تأخر إلا الرسول ﷺ، أما غيره فيحتاج إلىٰ توبة من الذنب، وقد يغفر الله له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بدون توبة ما دون الشرك، لكن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نجزم بأنه قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولهذا قال: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٢-٣].

فإن قال قائل: هذه الآية وما سقناه شاهدًا لها يدل علىٰ أن الرسول ﷺ قد يُذنب، فهل النبي ﷺ يذنب؟

فالجواب: نعم، ولا يمكن أن نرد النصوص لمجرد أن نستبعد وقوع الذنب منه ﷺ، ونحن لا نقول الشأن ألا يُذنب

الإنسان، بل الشأن أن يُغفر للإنسان، هذا هو المهم؛ أن يُغفر له، أما أن لا يقع منه الذنب فقد قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»، لابد من خطيئة؛ لكن هناك أشياء لا يمكن أن تقع من الأنبياء مثل: الكذب والخيانة، فإن هذا لا يمكن أن يقع منهم إطلاقًا، لأن هذا لو فُرض وقوعه لكان طعنًا في رسالتهم، وهذا شيء مستحيل، وسفاسف الأخلاق من الزنا وشبهه؛ هذا أيضًا ممتنع، لأنه ينافي أصل الرسالة، فالرسالة إنما وجدت لتتميم مكارم الأخلاق كما قال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

فالحاصل أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وضع عن محمد ﷺ وزره، وبيَّن أن هذا الوزر قد أنقض ظهره، أي: أقضه وأتعبه، وإذا كان هذا وزر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكيف بأوزار غيره، أوزارنا تقض ظهورنا وتنقضها وتتعبها، ولكن كأننا لم نحمل شيئًا، وذلك لضعف إيماننا وبصيرتنا وكثرة غفلتنا، نسأل الله أن يعاملنا بالعفو»[1].

وقد بيَّن أن الصحابة ليسوا معصومين، فكيف بغيرهم، فقال:

---

(١) تفسير جزء عم (ص: ٢٤٤).

«وهناك قسم رابع، وهو ما وقع منهم من سيئات حصلت لا عن اجتهاد ولا عن تأويل:

فبينه المؤلف بقوله: «وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصومٌ عن كبائر الإثم وصغائره».

لا يعتقدون ذلك؛ لقوله ﷺ: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**».

ولكن العصمة في إجماعهم؛ فلا يمكن أن يُجمعوا علىٰ شيء من كبائر الذنوب وصغائرها فيستحلوها أو يفعلوها.

لكن الواحد منهم قد يفعل شيئًا من الكبائر؛ كما حصل من مِسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش في قصة الإفك، ولكن هذا الذي حصل تطهروا منه بإقامة الحد عليهم»[1].

وقال: «الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حثَّ أمته علىٰ الاستغفار، وبيَّن أنه لابد من أن يقع الذنب والخطأ من بني آدم: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»، وأنها - أعني المغفرة - من صفات الله تبارك وتعالىٰ التي هي صفات كمال، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحب

(١) شرح العقيدة الواسطية (٢ / ٢٨٨).

التوابين، ويحب التوبة علىٰ عباده، ويحب المستغفرين، ويحب المغفرة لهم، فحكمة الله تعالىٰ تقتضي أن يقع الذنب من بني آدم، ثم يكون الاستغفار، وتكون المغفرة بعد ذلك»[(١)].

وقال: «ليس أحدٌ من الخلق معصومًا إلا من عصمه الله عَزَّوَجَلَّ، والأولياء كغيرهم يخطئون ويتوبون إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من خطئهم، «**فإن كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»»[(٢)].

وقال: «يجب علينا أن نحذر من التفرق، وتمزق الكلمة، واختلاف القلوب؛ فإن ذلك يوجب الفشل والخذلان، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وأنا أرىٰ في الساحة اختلافًا، وأرىٰ قولاً وقيلاً، وهذا ينشر هذا القول، وهذا ينشر القول المضاد، وهذا ينتحل لهذا الرجل، وهذا ينتحل لرجل آخر، وكل واحد منهم يقف ضد الثاني، وهذا خطر عظيم، نحن ما لنا وللناس، ما لنا ولزيدٍ أو لِعمرو، نحن

---

(١) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٢ / ٤٥٤).

(٢) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٢ / ٥٢٨).

نتبَع الحق أينما كان، ومِن أيِّ جهةٍ كانت، هذا الواجب، الحق ضالة المؤمن أينما وجده أخذ به، وليس الحق مخصوصًا بشخصٍ معين دون شخصٍ آخر، ربما يأتي الحق من رجل كافر، وربما يأتي الحق من رجل فاسق، وربما يَفوتُ الحقُّ رجلاً مؤمنًا؛ يُخطئ، وكل إنسان خطَّاء.

وقد تستنكرون أن أقول: إن الحق يأتي من رجل كافر! ولكنه يأتي من رجل كافر، ويجب قبوله، أليس الله تعالىٰ قال: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ [الأعراف: ٢٨]، فقال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ [الأعراف: ٢٨]، ولم يكذبهم بقولهم: ﴿وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا﴾ لأن قولهم: ﴿وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا﴾ حق، فأبطل الله قولهم: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ ولم يبطل قولهم: ﴿وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا﴾ لماذا؟ لأنه حق، فيجب قبوله ولو من كافر، وهذا الرجل اليهودي الذي حدَّث النبي ﷺ بأن الله يجعل السماوات علىٰ إصبع والأرضين علىٰ إصبع، إلىٰ آخر الحديث، هل كذَّبه الرسول؟ أو قال: لا نقبل منك لأنك يهودي؟ لا، صدَّقه، ضحك حتىٰ بدت نواجذه تصديقًا لقوله، ثم قرأ قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ

ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

وإذا كان هذا هو الواجب؛ أن نتبَع الحق أينما كان، وأن نأخذ به من أي مصدر كان، فما بالنا ننتحل لزيدٍ أو لعمرو، ثم نقول: كل ما قاله فهو حقٌّ وصواب، وكل ما قاله الآخر فهو باطلٌ وخطأ، هذا لا يليق بالمؤمن إطلاقًا، اتبع الحق أينما كان، واعلم أن الإنسان قد يأتي بالحق الكثير ثم يخطئ مرة واحدة، أو يأتي بالخطأ الكثير ثم يصيب مرة واحدة، أو يكون خطؤه وصوابه واحدًا، متساويين، وفي الأحوال الثلاث كلها الواجب علينا: أن نأخذ بالحق وندع الباطل، وإذا رأينا من شخصٍ خطأً ونحن نعلم حسن نيته؛ فالواجب الاعتذار عنه، لا التشنيع به؛ لأن التشنيع بأهل الحق من خصال المنافقين، هم الذين إذا أمسكوا علىٰ أهل الإيمان خطأً واحدًا بَنَوا منه أخطاءً كثيرة، وشنَّعوا عليه، وأشاعوا الفاحشة فيه.

أما المؤمن فإذا رأىٰ من شخصٍ خطأً وهو يعرف منه حسن نيته؛ فليس كل إنسان يخطئ نعذره في خطئه، لا، قد يكون يخطئ متعمدًا، لكن إذا علمنا حسن نية الرجل، وأن هذا خطأٌ

فاته، وبنو آدم خطاء؛ فإن الواجب علينا أن نعذره، وألاَّ نتحدث ونُشنِّع عليه أمام الناس، ثم الواجب علينا تارة أخرىٰ أن نتصل به، وأن نقول: إنك قلت كذا، أو فعلت كذا، ثم نبين الخطأ، قد يكون الخطأ في فهمنا نحن، ويكون ما قاله هو صحيحًا، وقد يكون الخطأ منه، وإذا كان حَسَن النية رجع إلىٰ الصواب حتىٰ لو كان أكبر الناس، من لم يتواضع للحق فهو مستكبر، وقد ثبت عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «**لا يدخل الجنة من في قلبه أدنىٰ مثقال حبة خردل من كبر**»»[1].

وقال: «الإنسان مهما بلغ من التقوىٰ، فإنه لابد أن يخطئ، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، ولَجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**».

فالإنسان مأمورٌ أن يقارب ويسدد بقدر ما يستطيع.

ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**واعلموا أنه لن ينجو أحدٌ منكم بعمله**»، أي: لن ينجو من النار بعمله. وذلك لأن العمل لا يبلغ

(١) لقاء الباب المفتوح – الشريط: (٣٣).

ما يجب لله عَزَّوَجَلَّ من الشكر، وما يجب له علىٰ عباده من الحقوق، ولكن يتغمد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ العبد برحمته فيغفر له.

فلما قال: «**لن ينجو أحدٌ منكم بعمله**» قالوا له: ولا أنت؟! قال: «**ولا أنا**» حتىٰ النبي عَلَيْهِالصَّلَاةُوَالسَّلَامُ لن ينجو بعمله «**إلا أن يتغمدني الله برحمة منه**».

فدل ذلك علىٰ أن الإنسان مهما بلغ من المرتبة والولاية، فإنه لن ينجو بعمله، حتىٰ النبي عَلَيْهِالصَّلَاةُوَالسَّلَامُ، لولا أن الله منَّ عليه بأن غفر له ذنبه ما تقدم منه وما تأخر، ما أنجاه عمله»[1].

وقال: «ومن النصح أيضًا لعلماء المسلمين: أنْ لا يتتبع الإنسان عوراتهم وزلاتهم وما يخطئون فيه؛ لأنهم غير معصومين، قد يزلون وقد يخطئون، وكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، ولاسيما من يتلقىٰ العلم فإنه لا يجب أن يكون أبلغ الناس في تحمل الأخطاء التي يخطئ بها شيخه، وينبهه عليها، فكم من إنسان انتفع من تلاميذه؛ ينبهونه علىٰ بعض الشيء؛ علىٰ الخطأ العلمي، أو علىٰ الخطأ العملي، وعلىٰ أخطاء كثيرة؛

(١) شرح رياض الصالحين (١ / ٥٧٣).

لأن الإنسان بشر.

لكن الشيء المهم أنْ لا يكون حريصًا علىٰ تلقي الزلات، فإنه جاء في الحديث: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه؛ لا تُؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه فضحه الله ولو في بيت أمه**»، هذا وهم مسلمون؛ عامَّة، فكيف بالعلماء؟

إن الذين يلتقطون زلات العلماء ليشيعوها ليسوا مسيئين للعلماء شخصيًّا وحسب، بل مسيئون للعلماء شخصيًّا، ومسيئون إلىٰ علمهم الذي يحملونه، ومسيئون إلىٰ الشريعة التي تُتلقىٰ من جهتهم؛ لأن العلماء إذا لم يثق الناس فيهم، وإذا اطلعوا علىٰ عوراتهم التي قد لا تكون عورات إلا علىٰ حسب نظر هذا المغرض، فإنه تقل ثقتهم بالعلماء وبما عندهم من العلم، فيكون في هذا جناية علىٰ الشرع الذي يحملونه من سنة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

لذلك من نصيحتك لأئمة المسلمين من أهل العلم أن تدافع عن عوراتهم، وأن تسترها ما استطعت، وأن لا تسكت إذا سمعت شيئًا بل نبِّه العالم، وابحث معه واسأله، ربما يُنقل عنه

أشياء غير صحيحة، وقد نُقل عنا وعن غيرنا أشياء غير صحيحة، لكن الناس - نسأل الله العافية - إذا كان لهم هوىٰ وأحبوا شيئًا وعرفوا أحدًا من أهل العلم يقبل الناسُ قولَه، نسبوه لهذا العالم، ثم إذا سألت نفس الذي نسب إليه القول، قال أبدًا ما قلت كذا، وقد يخطئ السائل مثلاً في صيغة السؤال، فيجيب العالم علىٰ قدر السؤال، ويفهمه السائل علىٰ حسب ما في نفسه هو، فيحصل الخطأ، وقد يجيب العالم بالصواب بعد فهم السؤال؛ لكن يفهمه السائل علىٰ غير وجهه فيخطئ في النقل.

وعلىٰ كل حال من النصيحة لأئمة المسلمين في العلم والدين أنْ لا يتتبع الإنسان عوراتهم، بل يلتمس العذر لهم، اتصل وقل سمعت عنك كذا وكذا هل هذا صحيح؟ فإذا قال: نعم، قل: أظن أن هذا خطأٌ وغلط؛ حتىٰ يبين لك وربما يشرح شيئًا لا تعرفه وتظن أنه أخطأ فيه، وربما قد خفي عليه شيء فتنبهه أنت، وتكون مشكورًا علىٰ هذا، وقد قال أول إمام في الدين والسلطة في هذه الأمة بعد الرسول ﷺ، أبو بكر رضي الله عنه، حيث خطب أول خطبة، قال للناس وهو يخاطبهم يتحدث عن نفسه: إن اعوججت

فأقيموني، وذلك لأن الإنسان بشر.

فقوِّم أخاك ولاسيما أهل العلم، لأن العالم خطره عظيم، الخطر الزللي، والخطر الرفيع، لأن كلمة الخطر تكون للعلو والنزول، فهو خطره عظيم، إن أصاب هدىٰ الله علىٰ يده خلقًا كثيرًا، وإن أخطأ ضلَّ علىٰ يده خلقٌ كثير، فزلة العالم من أعظم الزلات.

ولهذا أقول: يجب أن نحمي أعراض علمائنا، وأن ندافع عنهم، وأن نلتمس العذر لأخطائهم، ولا يمنع هذا أن نتصل بهم، وأن نسألهم، وأن نبحث معهم، وأن نناقشهم حتىٰ نكون مخلصين ناصحين لأئمة المسلمين»[1].

وقال: «إن علىٰ طلبة العلم احترام العلماء وتقديرهم، وأن تتسع صدورهم لما يحصل من اختلاف بين العلماء وغيرهم، وأن يقابلوا هذا بالاعتذار عمن سلك سبيلاً خطأً في اعتقادهم، وهذه نقطة مهمة جدًّا؛ لأن بعض الناس يتتبع أخطاء الآخرين؛ ليتخذ منها ما ليس لائقًا في حقهم، ويشوش علىٰ الناس سمعتهم، وهذا من أكبر الأخطاء، وإذا كان اغتياب العامي من

(١) شرح رياض الصالحين (٢ / ٣٩٣).

الناس من كبائر الذنوب؛ فإن اغتياب العالم أكبر وأكبر؛ لأن اغتياب العالم لا يقتصر ضرره علىٰ العالم، بل عليه وعلىٰ ما يحمله من العلم الشرعي.

والناس إذا زهدوا في العالم أو سقط من أعينهم تسقط كلمته أيضًا. وإذا كان يقول الحق ويهدي إليه فإن غيبة هذا الرجل لهذا العالم تكون حائلاً بين الناس وبين علمه الشرعي، وهذا خطره كبير وعظيم.

أقول: إن علىٰ هؤلاء الشباب أن يحملوا ما يجري بين العلماء من الاختلاف علىٰ حسن النية، وعلىٰ الاجتهاد، وأن يعذروهم فيما أخطأوا فيه، ولا مانع أن يتكلموا معهم فيما يعتقدون أنه خطأ؛ ليبينوا لهم هل الخطأ منهم أو من الذين قالوا إنهم أخطأوا؟! لأن الإنسان أحيانًا يتصور أن قول العالم خطأ، ثم بعد المناقشة يتبين له صوابه. والإنسان بشر؛ «**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**».

أما أن يفرح بزلة العالم وخطئه، ليشيعها بين الناس فتحصل الفرقة، فإن هذا ليس من طريق السلف»[1].

---

(١) كتاب العلم (ص: ٤٢).

❁ ما جاء عن العلامة صالح الفوزان حفظه الله.

فقد بيَّن هذا المعنىٰ بوضوح أيضًا، فقال:

«من علامة إرادة الله بعبده الخير أن يُعجِّل له العقوبة علىٰ ذنوبه؛ لأن الذنوب تصدر من الإنسان بكثرة، ليس هناك أحدٌ معصوم إلا الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فيما عصمهم الله منه، «**كلكم خطاء وخير الخطائين التوابون**»؛ والإنسان تصدر منه ذنوب كثيرة ومخالفات؛ فإذا أراد الله بعبده خيرًا عجَّل له العقوبة علىٰ هذه المعاصي في الدنيا حتىٰ يُطهِّره، وحتىٰ ينتقل إلىٰ الدار الآخرة ليس عليه ذنوب فيدخل الجنة»(١).

❁ ما جاء عن العلامة ربيع المدخلي حفظه الله.

فمع كثرة ردوده علىٰ المخالفين، واشتهاره في باب الردود، إلا أنه منضبطٌ فيه غاية الانضباط، لا تجد له انفلاتًا فيه، فهو يفرق في أحكامه وفي ردوده وفي تعامله بين صاحب السنة وبين المخالف للسنة؛ الذي يتعمَّد المخالفة ويُكابر، فيعرف لعالم

---

(١) إعانة المستفيد (٢ / ٨٥).

السنة ولصاحب السنة قدره، شأنه في ذلك شأن علماء السنة علىٰ مر العصور، إذ يُفرِّقون بين صاحب السنة وبين صاحب البدعة، ولذلك تجده حَفِظَهُ اللَّهُ وقد سئل:

ما مدىٰ صحة قول القائل إن الشيخ الألباني متساهل في التصحيح والتضعيف؟

فأجاب: «ما أحد يسلم من الخطأ؛ لا الألباني، ولا الترمذي، ولا النسائي، بل حتىٰ البخاري وتلميذه مسلم رحمهم الله، وهذه اجتهادات، هو ما يتعمد التساهل ويتقصَّد الحكم علىٰ الحديث خطأً، يعني الحديث صحيح ويذهب يضعفه تساهلاً!، لا، كلهم إن شاء الله مجتهدون ويريدون أن يحكموا بما بصَّرهم الله من الحق، والإنسان معرضٌ للخطأ في أحكامه، فمن اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجرٌ واحد، فالخطأ يوجد، تقرؤون كتاب الترمذي، وكتاب صحيح ابن خزيمة، ومستدرك الحاكم، وابن حبان، ولا يُتهمون.

وإذا قال أحدهم فلان متساهل فليس معناه أنه يحكم بهواه في دين الله، الحديث دين الله عَزَّوَجَلَّ، ولمَّا يكون الحديث يتضمن

حلالاً أو حرامًا ويجيء يضعفه أو يصححه؛ هل يضعفه أو يصححه بهواه أو يجتهد؛ وقد يصيب وقد يخطئ.

وبهذا الاعتبار ننظر إلىٰ العلماء ومنهم الألباني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وقد يتشدد الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فيُضعِّف حديثًا صحيحًا مثلاً حسب اجتهاده، وهكذا.

والمهم أنه عالمٌ بارعٌ في الحديث وعلومه، والعلل، وفي الفقه فقيهٌ، النَّفَس علىٰ طريقة السلف، ولا يتكلم فيه إلا أهل الأهواء»[1].

وقد بيَّن حَفِظَهُ اللهُ هذا المعنىٰ بوضوح، وطبقه عمليًّا أيضًا، يدل علىٰ ذلك قوله:

«فنحن بحمد الله نعذر بالزلات، ونتغافل عن السقطات، وكل ابن آدم خطاء، وأنا أتعامل مع أصناف الناس من عرب وعجم، ولست أعيش في زنزانة.

وكم عذرت عبد الرحمن عبد الخالق، وكم ناصحته خلال سنوات طويلة، وكم طُلب مني الرد عليه فرفضت رغم هجماته الكثيرة الواسعة ودفاعه المتواصل عن أهل الباطل في عدد من

(١) من موقع الشيخ بعنوان: (لقاء حديثي منهجي مع بعض طلاب العلم بمكة).

الكتب، ثم تلا ذلك هجمات تلاميذه حتىٰ بلغ السيل الزبىٰ ووصلنا إلىٰ الظرف العصيب؛ الذي يقول في مثله الشاعر:

إذا لـــم تكـــن إلا الأســـنة مركـــب

فمـا حيلـة المضـطر إلا ركوبهـا»[1].

وقوله: «مدح الله المؤمنين في كثير من الآيات القرآنية، وذكر ما أعد لهم من الجزاء العظيم، ولم يذكر شيئًا من أخطائهم من باب الموازنة، و «**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**».

وفي ذلك مصلحة عظيمة، هي أن تتحرك النفوس إلىٰ التشبه بهم والسير علىٰ منوالهم.

وذم الله الكفار والمنافقين والفاسقين في آيات كثيرة، ووصفهم بما فيهم من الكفر والنفاق والفسق، ووصفهم بأنهم صم بكم عمي، ووصفهم بالضلال والجهل، من غير أن يذكر شيئًا من محاسنهم؛ لأنها لا تستحق أن تُذكر، لأن كفرهم وضلالهم قد أفسدَا وشوَّهَا تلك المحاسن وصيَّراهَا هباءً منثورًا»[2].

---

(١) النصر العزيز علىٰ الرد الوجيز (ص: ١٩٣).

(٢) منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف (ص: ٢٥).

والمقصود: أن الاستدلال بحديث: «**كل ابن آدم خطاء**» على ترك الأئمة والعلماء من أهل السنة، والتزهيد فيهم وفيما يحملونه من العلم، أو التقليل من قدرهم والتنقص منهم، إنما هو ضلالٌ مبين، لا يُقره عقلٌ ولا دين، ولا يصدر إلا من أحد رجلين؛ إما جاهل قد غُرِّر به، وإما صاحب هوىٰ، أما أهل العلم والدين فهم من أبعد الناس عن مثل هذا الاستدلال.

ومن استدل منهم بمثل هذا الحديث فإنما يستدل به علىٰ نفي العصمة عن الصحابة ومن دونهم، لا علىٰ إسقاطهم، وإسقاط علماء السنة، والتزهيد فيهم.

وختامًا أقول: كفىٰ بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة رسوله ﷺ، وما خرج به منهما أئمة المسلمين؛ دليلاً علىٰ فساد الاستدلال بحديث: «**كل ابن آدم خطاء**»؛ علىٰ ترك الأئمة والعلماء، وإسقاط هيبتهم، ومكانتهم بين الناس.

ألا وليحرص صاحب السنة وطالب الحق علىٰ أن يسلك سبيل هؤلاء الأئمة وأن يتبع العلماء ويقدم فهمهم علىٰ فهمه، سواء في هذا الحديث أو غيره، لينجو بنفسه من الضلال، وليجتنب سبيل

أهل الضلال، الذين اتخذوا من هذا الحديث وغيره سبيلاً يحاربون به أهل السنة، ويقررون به الباطل.

الطاعن في العلماء مكشوف مفضوح.

وقد فطن علماء السنة - علىٰ مر العصور والأزمان - لمثل هذه الألاعيب، ولاستخدام مثل هذه العبارات الرنانة والمنمقة - التي ظاهرها الحق والهدىٰ، وباطنها الباطل والشر والضلالة - يقررون بها باطلهم، وما أرادوا الوصول إليه من الطعن في علماء السنة، والنيل منهم، والتقليل من شأنهم، والحط من قدرهم ومكانتهم، ومن صرف الناس عنهم، وعن فتاويهم.

فطنوا لذلك كله، وقالوا فيهم كلمتهم، ومما قاله علماؤنا المعاصرون:

* ما جاء عن الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال:

«يوجد أناس يَدعون إلىٰ التقليل من شأن العلماء، والكلام فيهم في المجالس؛ لأنهم فقدوا الزعامة التي يريدونها، فصاروا مثل الزعماء الآخرين الذين عارضوا دعوة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لَمَّا فقدوا الزعامة التي يريدونها، ليس لهم سبيل إلىٰ ما يريدون إلا أنْ

يُضعفوا الجانب الآخر. وهذا علىٰ خطر عظيم جدًا»[1].

وقال: «والتقليل من شأن العلماء الراسخين في العلم المعروفين بالإيمان والعلم الراسخ جناية، ليس علىٰ هؤلاء العلماء بأشخاصهم، بل علىٰ ما يحملونه من شريعة الله تعالىٰ أيضًا، ومن المعلوم أنه إذا قلَّت هيبة العلماء، وقلَّت قيمتهم في المجتمع فسوف يقل بالتَّبع الأخذ عنهم، وحينئذ تضيع الشريعة التي يحملونها أو بعضها، ويكون في هذا جناية عظيمة علىٰ الإسلام وعلىٰ المسلمين أيضًا»[2].

* وما جاء عن الشيخ ربيع المدخلي حفظه الله، حيث قال:

«وقد شاع في هذه الأيام رفض ما عند العلماء بالمقولة المبطلة التي ظاهرها الحق، وباطنها الباطل والشر: «لا أقلد»، تجده جاهلاً لا يفهم شيئًا في دين الله، وهو أشد الناس حاجةً إلىٰ تقليد العلماء فضلاً عن اتباعهم»[3].

---

(١) تفسير سورة آل عمران (١ / ٣٧٥).

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين (٢٦ / ٢٧٨).

(٣) مرحبًا يا طالب العلم (ص: ٦١).

وقال: «وقد هوَّن من شأن هذه المنزلة العظيمة للعلماء أهل البدع والضلال، وأذنابهم المندسُّون في صفوف السلفيين، ونالوا منهم، فهناك من يندس في صفوف السلفيين؛ فيزلزل هذه المكانة في نفوس الشباب، فينصرف كثيرٌ منهم عن العلماء بسبب هذه الأساليب الخبيثة، فترىٰ المندس منهم يتلبَّسُ بلباس السلفية ويتحمَّس لها كذبًا وزورًا، وإذا به يُفرِّق ويُمزِّق ويَفعل ما يَعجز عنه ألدُّ الأعداء في تمزيق السلفيين، وتشتيت شبابهم، فوجب التنبُّه لهؤلاء الخصوم ومكائدهم»[1].

* وما جاء عن الشيخ محمد بن هادي حفظه الله، حيث قال:

«أما التعصب للباطل فهذا الذي ذمَّه الله، وذمَّه رسوله ﷺ، وذمَّه كل عاقل.

وأما أن الشيخ ربيعًا غير معصوم: فهل نحن في يوم من الأيام ادَّعينا لأحد العصمة بعد رسول الله ﷺ؟

كأن هذا تحصيل حاصل؛ ما اختلفنا حتىٰ تُورد عليَّ هذه العبارة، ولكن هذه العبارة مقالةُ حقٍّ أُرِيد بها باطلٌ، أرادوا بها

(١) اللباب من مجموع نصائح وتوجيهات الشيخ ربيع للشباب (ص: ١٢٩).

الطعن في الشيخ، وما يتوصلون إلا بهذه الطريقة، وإلا ما أحد مِن أهل العلم ولا طلاب العلم قال عن الشيخ ربيع أنه معصوم»[1].

* وما جاء عن الشيخ سليمان الرحيلي حَفِظَهُ الله، حيث قال:

«ما قام أحد يطعن في علماء السنة ومنهجهم وعقيدتهم ويحاول التشكيك في أصولهم بل ودينهم إلا أخزاه الله، وقد يبتلي الله به عباده زمنًا، لكن مآله إلىٰ الخزي ومزابل التاريخ، فاعتبروا يا أولي الأبصار بالماضي والحاضر، وتمسكوا بحبل الكتاب والسنة، وأَجِلُّوا علماء أهل السنة، وإياكم والمشككين في الدين»[2].

وبهذا تمت الرسالة، وهو آخر ما قصدت إليه فيها، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

كتبه: **علي حسين الفيلكاوي**

وتم الانتهاء منه

يوم الخميس ١٩ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٤٣هـ

الموافق ٢٣ / ١٢ / ٢٠٢١م

---

(١) سؤال وُجِّه للشيخ محمد في دورة علمية وهو مبثوث علىٰ شبكة الإنترنت.

(٢) كلامه مبثوث علىٰ شبكة الإنترنت.

فهرس الموضوعات